الأطفال والحريق

إذا كانت سلامة المنازل من الحريق مُرتكزَ حوارنا في هذا المقام فثمة تركيز خاص نفرزه لحماية الأطفال الذين هم أكثر ضحايا حوادثها وبالذات الفئة العمرية ما دون العاشرة بفعل ما لديهم من فضول طفولي يغريهم لاكتشاف ما حولهم من الأشياء ويدفعهم إلى تناول ما يقع أمامهم أو يلفت نظرهم ، فكم هي الحالات التي تُنقل إلى طوارئ المستشفيات جراء حريق قادهم إليه فضولهم من غير وعي عقلي أو إدراك معرفي غيبة اهتمام وغفلة الأهل مُخلفاً مأساة تصعق الأفئدة .

وسوف نسرد بعض الحالات على سبيل المثال لا الحصر لعلَّ فيها ما يُوقظ قلوب الغافلين عند أطفالهم :

- **الكهرباء :** نعمة من الله لعباده إذا أُحسن استخدامها وإلا انقلبت غُمَّة بشكل عام وعلى الأطفال بشكل خاص. فالطفل بطبعة عدو نفسه كما يُقال لا يدرك مغبَّة خطورتها ويجهل حدة طبعها فيقدم على العبث بها كما لو كانت لعبة يداعبها بيده، أو يُدخل فيها آلة حادة أو يحاول ملامستها فتصيبه لمسة حارقة أو عصبية أو يحدث حريق حوله لا يستطيع التصرف حياله أو تفاديه ولا يدفعه عن نفسه لا طاقة له به فيقع ضحية له. فلو أحطنا ضد ذلك ببعض الاحتياطات البسيطة كتغطية الأفياش بشريط عازل أو أغطية ملائمة لحماية الأطفال من حوادثها .

- **الغاز :** بعض الناس يطلب من طفل إقفال فرن الطبخ أو الموقد فلا يُحسن القفل فيتركه في وضع نصف قفلة بحيث يبقى الغازُ يتسرب ببطء مما يؤدي إلى حريق بمحرد وجود مؤثر كإشعال كبريت أو شرارة كهربية يشبّ بها حريق يذهب ضحيته الطفل .
- البعض قد يطلب من أحد الأطفال إدخال فيش جهاز في قابس الحائط فلا يجيد إدخاله بطريقة سليمة وربما الأسلاك مهترئة أو مخدوشة مما يُحدث تلامسًا للأسلاك فيحدث حريقٌ يتضرر منه الطفل .
- **السوائل الساخنة :** لها نصيب كبير من حروق الأطفال كأنْ تترك بالقرب منهم أو في متناول أيديهم أو في دائرة لعبهم وحركتهم والشواهد على هذا كثيرة مثل أباريق الشاي والقهوة وأوعية تسخين المياة وما شابهها.
- **مواقد الفحم والحطب :** ما أكثر ما نسمع عن حالات اختناقات وبالذات في الليالي الشاتية إذ يستخدمها البعضُ وسيلةَ تدفئة ، فلا يجب ترك نارها بعد انتهاء الغرض منها والتأكد من إخمادها تمامًا .
- **أطباق الأطعمة الحارة :** تدفع الطفل للعبث أو الاقتراب من طاولة الأكل أثناء تحضير السفرة يعجبه شكلها أو رائحتها يتناولها وملامستها وربما سحب طرف السفرة فتسقط عليه وتمسه لسعات حرارتها.

- **أدوات الإشعال:** كأعواد الكبريت والولاعات يستهوي الطفل اللعب بها ، فلا يجب تركها على الطاولات أو في مواضع الوصول إليها.
- بعض لعب الأطفال مزودة ببطاريات لإعادة الشحن فقد يأتي طفل يشحن لعبته فيضعها في محول مركب عليه أكثر من شاحن مما يزيد عن قدرة احتماله فيحدث تماس يخلف حريقًا .
- **بعض أواني الطبخ** : ذات مقابض طويلة أقرب لتناول الطفل فتنقلب عليه فالأحوط أنْ يُدار المقبض إلى الداخل حتى لايكون عُرضة لتناوله .
- ناهيك عن الحركة النشطة عند الأطفال التي تعرضهم للتعثر والسقوط ينتج عنها ارتطام بالأرض أو الاصطدام بأجسام صلبة . إن باب حماية الأطفال عريضٌ وما من أم وأب إلاّ يعرف ماهية المخاطر التي يمكن أنْ يتعرض لها أطفالهم وهم من فرط حبهم يمطرونهم بنصائح وإرشادات وتحذيرات خشية عليهم من مكروه سواء في البيت أو في أماكن اللهو وفي البر والشواطئ ومواقع المنتزهات ... الخ. ومهما حاولنا أنْ نحصر المخاطر التي تحيط بالطفل فقد يصعب حصرها فيبقى الحريق أبا المخاطر وأم المهالك.

مثل هذه الصور شائعة الوقوع في المنازل وغيرها كثير ، فأنصح ما ينصح به المهتمون بحماية الأطفال ألاّ يتركوا في

البيوت بمفردهم خاصة ما دون العاشرة من العمر ، فهم أقرب ما يكونون إلى هذه الحوادث في غيبة الأكبر منهم ، فلا يجب أن يشغل عنهم شاغل .

عندما ندعو إلى ذلك ونركز عليه لا يعني أن هناك تقصيرًا من الأهل بالأبناء وإنما ما ننشده هو الحرص ولا للإهمال ونفض الغفلة ، فهي مرتع خصب لحرائق المنازل. أفاء اللهُ عليها بالسلامة من هول الحرائق وحمى عيالها من لسعها الحارق.

فما أحلى لهو الطفولة ، بهجة ترسم على الشفاه فرحةً وتنفرج الأسارير بهم رحمة ، بشرط ألاّ يغيبوا عن الأعين ولا يشغل عنهم شاغلٌ لأنهم جزء منا وبعض كياننا ، هم ثمار القلوب وعماد الظهور وقرة العيون وريحانة الفؤاد .

وصفهم شاعر يقول:

إِنَّمـــــَا أَوْلادُنـــــَا بَيْـنـــنـــَا أَكبَادُنَا تمشِي علَى الأرْضِ

وتلك أعرابية تداعب ابنها تصف مشاعرها نخوه تنشد قائلة :

يَا حَبَّذَا ريـــــح الوَلَدِريح الخَزامى في البَلَد

أهَكَذَا كُل وَلَدِ أم لم يَلِدْ قَبْلِي أَحَد

فرط حب الأبناء لا يضاهيه حبٌّ سوى حب الله ورسوله ، آفته الالتهاء عنهم بمشاغل أو غشوة غفلة والاستئناس بالجلسات والوناسات تُنسي البعض أولادهم ، وعندما يقع أحدهم في خطر يصعقون وتشويهم حرقة ويكويهم ندم .. فمنْ كان السبب ؟

ولكي يكون همّ السلامة حاضرًا ينبغي تنشيط الحسّ الوقائي الذي يمنحنا قدرة على اكتشاف الخطر ومواطن احنمالات الحوادث لنتلافاها قبل أنْ يحل بؤسها ، فما هو الحسّ الوقائي ؟

الحسّ الوقائي

كلّ إنسان تتملكه خشية وتوزعه خشعة من أنْ تُلمّ به مُلمَّات قاسية ومعاناة موحشة وحوادث تُوقعه في مآزق لا يتمنى الوقوع فيها نفسه أو ممتلكاته ، ويأتي أمان المنزل في أولويات أمنيته ؛ كونه مأوى سكنه ومكان راحته وعشّه مع زوجه وولده ، من منطلق أن السلامة قاعدة أمان المنازل، وهو الهاجس الذي يستحوذ على أي إنسان ، مضمونه الشعور بالأمان والخلو من غارات المحدثات ، وهي نزعة باطنة تستحثّ الإنسان لاستشعارها ؛ لاستباق إبطالها بما نسميه الحدس التوفيقي ، وهو ما يوصلنا إلى تعريف الحس الوقائي بأنه:

إحساس الباطن ومعتلج الخاطر، كناقوس يدقّ من عالم غير مرئي يعلم بوجود ما يوجب الاحتراس منه ، يفزع له الداخل، ويُوقظ النفس محذرًا ومنبِّهًا ، وهو ما يدعو إلى القيام بعمل يصد ما ينذر بخطر ويوقع الحوادث ليؤمن السلامة منه.

ومع أن الحسّ الوقائي موجود لدى كل إنسان إلا بعضهم لا يكلف نفسه بالتفاعل مع حسِّه الداخلي ولا يعطي له ولو قليلًا من اهتمام للمؤشرات التي تنذر بوقوع خطر متغافلًا أو متشاغلًا ببعض اهتماماته تاركًا الأمر للصدف ، فيقع في المحذور على غِرَّة.

وإذا عرفنا أن السلامة المنزلية أمانٌ من شبح الخطر ، فهي تنبع من ذات فطنة ، فإنْ لم تكُنْ سلامة منازلنا محلّ اهتمامنا الشخصي ، فما البديل من غيابها غير الحوداث؟!

وهنا نود أنْ ننبه أن الحسّ الوقائي له ما يحفّزه ، وهي الفراسة من حيث استقراء مؤشرات وقوع الحوادث ، وهي عملية إدراك حسيٍّ يسميها بعضهم بالحاسة السادسة ؛ بوصفها حالةَ شعور في العقل الباطن تُنبىء بوجود خطر يتربص بالمنـــزل توجب اليقظة والعمل على تلافيه.

مصادر الحسّ الوقائي

يستمد الحسّ الوقائي معينه من مصدرين:

١- الفطرة الإنسانية النـــزَّاعة إلى السلامة كونها مطلبًا وضرورة مُلحّة.

٢- الشعور الغريزي بالخوف مما يُوجب الحذر منه.

ومع أن الحسَّ الوقائي موجودٌ لدى الإنسان إلا أن بعضهم قد تغلب عليه غفلة ، ولا يعطي المؤشرات أدنى اهتمامه أو مجرد التفاتة يستوضح طبيعتها بواسطة حسِّه الوقائي.

فالسلامة تنطلق ابتداءً من ذات الإنسان عن طريق إحساسه وهو بمثابة محرك بحث ، فهو الذي يُوقظه لما يُؤمِّن سلامته في مكان إقامته ، منطلقًا من الحكمة أو المقولة الشائعة : "الوقاية خير من العلاج".

بمعنى أن هناك شقّين :

- **شقّ شعوري** : يخالج الإنسان يعكس حالة التوجس؛ خشية وقوع حدث يهدد سلامته أو سلامة أسرته، وهو الشّق الذي يعول عليه استباق الحوادث.
- **شقّ علاجي (إجرائي)** : يمثله تفعيل منظومة السلامة ؛ لتعكس أمانًا نفسيًّا ليحلّ شعور الأمان محلَّ شعور الخلجة والخيفة.